سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة فصلت]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

جمع واختيار

منى الشمري

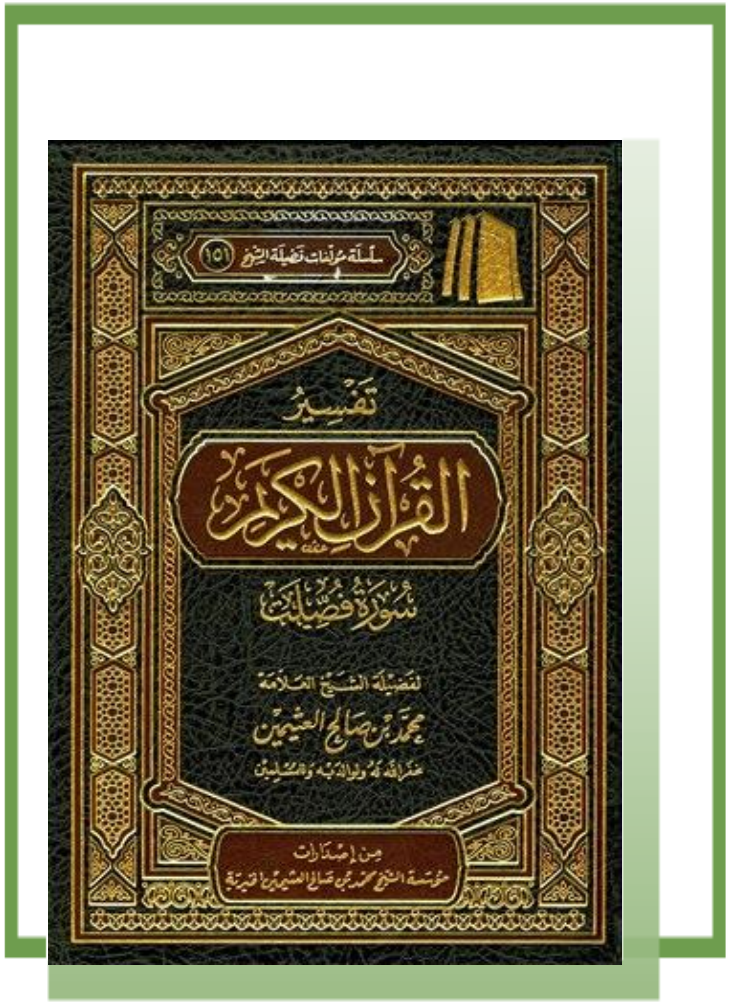

{تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون} [فصلت: ٢-٣]

- أن القرآن فصلت آياته، والتفصيل: تفصيل لفظي ومعنوي؛ فالتفصيل اللفظي بالفواصل بين الآيات، والمعنوي بالتفصيل في المعنى، فإذا ذكر الله تعالى أمرا ذكر نهيا، وإذا ذكر ثوابا ذكر عقابا، وإذا ذكر أهل الخير ذكر أهل الشر، وهكذا "مثانى".

- أن القرآن كل آية منه تعتبر آية على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: {فصلت آياته}، وآياته جمع يعم كل فرد على حدته ويعم المجموع.

- أن القرآن نزل باللغة العربية، ففيه منقبة للعرب؛ لأن هذا القرآن نزل بلغتهم، وفيه إحياء للغة العربية؛ لأن هذا القرآن سيبقى إلى أن يأذن الله بخراب العالم. ومن المعلوم أنه إذا بقي باللسان العربي فسوف تحيا اللغة العربية وتبقى، وهذا من آثار القرآن.

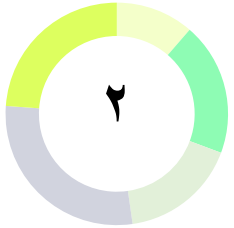

{وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون} [فصلت: ٥]

- {ومن بيننا وبينك حجاب} أي: حائل يحول بيننا وبينك فلا نراك، فأتوا على كل مدارك الإحاطة؛ فالمدرك الأول: القلب، والثاني: السمع، والثالث: البصر، وانتفاء البصر عنهم؛ لقوله: {ومن بيننا وبينك حجاب}. وقد جمع الله تعالى بين هذه الثلاثة في قوله: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا} [الإسراء: ٣٦] ، وتأمل قولهم: {ومن بيننا وبينك حجاب} لم يقولوا: "وبيننا وبينك حجاب" إشارة إلى أن هذا الحجاب ممتد من عندنا إليك، وعلى هذا فكلما تباعدنا عنك غلظ هذا الحجاب؛ لأنه إذا كان ابتداؤه من عندهم إلى الرسول، صار كلما زادت المسافة ازداد غلظه.

- أن من أهل الباطل من يتحدى أهل الحق إلى يومنا هذا، ولكن على أهل الحق أن يستعينوا بالله عز وجل في مقاومة هؤلاء، وأن يعلموا أن كلمة حق تغلب ألف كلمة باطل، لكن السيف بضاربه.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين} [فصلت: ٦]

- الرد على من قال: إن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- خلق من نور لقوله: {إنما أنا بشر مثلكم} وأنه لا ظل له: يمشى في الشمس؛ فلا يكون له ظل. وجه ذلك: تحقيق البشرية بالمماثلة؛ قال تعالى: {قل إنما أنا بشر مثلكم} فأي أحاديث تأتي بمثل هذه الأمور التي توجب أن يخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نطاق البشرية، فإنها موضوعة مكذوبة؛
- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يلحقه الحر والبرد والجوع والعطش والخوف والأمن، وغير ذلك من مقتضيات البشرية؛ لعموم قوله: {إنما أنا بشر مثلكم} ، وتحقيق البشرية بالمثلية حتى لا يقول قائل: إن هذا مجاز، فأكد هذه البشرية بالمثلية.
- أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يعلم الغيب إلا ما أوحي إليه؛ لأننا نحن لا نعلم الغيب وهو بشر مثلنا.
- أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا لغيره.
- وجه ذلك: أنه مثلنا، وإذا كنا نحن لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا لغيرنا، فكذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.
- أن موت النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- موت حقيقي، وأنه بموته انقطع عمله إلا ما يأتيه من ثواب أجور أمته؛

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فصلت ٤٠

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون} [فصلت: ٨]

- أن الإيمان وحده لا يكفي حتى يقترن بعمل، لكن إذا أطلق الإيمان شمل العمل، وإن ذكر معه العمل صار العمل علانية والإيمان سرا؛ مثل قوله تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات} هنا جمع بين الإيمان والعمل؛ فيكون الإيمان في القلب، والعمل في الجوارح.

- دوام نعيم المؤمنين العاملين الصالحات؛ لقوله: {لهم أجر غير ممنون}؛ أي لا يقطع، كما قال تعالى: {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا} [مريم: ٦٢].

- أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا وثوابها، وجه ذلك: أن أجر الآخرة غير مقطوع، بل هو مستمر دائما وغير ممنون به أيضا، بل يعطى الإنسان بدون منة. وأما ثواب الدنيا فإنه بالعكس.

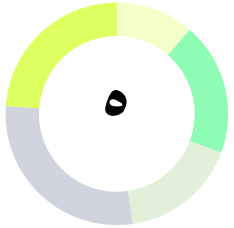

{قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين} [فصلت: ٩]

- بيان قدر اللّه عز وجل وبيان حكمته في خلق السموات والأرض، حيث خلق هذه الأجرام العظيمة الكبيرة الواسعة في خلال ستة أيام.
- أما الحكمة فوجهها: أن اللّه جل وعلا كان قادرا على أن يخلقها بلحظة واحدة: كن فيكون، لكنه جل وعلا ربط الأسباب والمسببات، وجعلها تتفاعل شيئا فشيئا حتى تنتهي، هذا من وجه.
- ومن وجه آخر: أنه أخر ذلك ليعلم عباده التأني في الأمور.

- أن خلق الأرض قبل خلق السماء؛ لأنه لما ذكر خلق الأرض في أربعة أيام قال: {ثم استوى إلى السماء} وهذا كقوله تعالى في سورة البقرة: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)} [البقرة: ٢٩].

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين} [فصلت: ٩]

- أن اتخاذ الأنداد ليس خاصا بشيء معين، بل يكون في أشياء كثيرة، فإياك أن يكون لك ند، حتى إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد القطيفة"؛ وهل الإنسان يضع الدينار فوقه ويسجد له ويركع؟ !

- الجواب: لا، وكذلك الدرهم والخميصة والخميلة، لكن لما كان قلبه معلقا بهذا الشيء؛ إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، صار عبدا لها، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من ذلك.

- بيان امتناع الند لله عز وجل؛ لقوله: {ذلك رب العالمين} [فصلت: ٩]، وجه الامتناع أنه رب العالمين وأي ند لا بد أن يكون رب العالمين؛ فلا أحد يمكن أن يقال: إنه رب العالمين؛ فهو رب وما سواه مربوب؛ إذن: ما سواه لا يصح أن يكون ندا له.

المرجع/ كتاب تفسير القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين ط/ مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - تفسير سورة فصلت ٦٣

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين} [فصلت: ١٠]

- منة الله سبحانه وتعالى على عباده؛ حيث جعل في الأرض رواسي، أي: ثوابت، والحكمة ذكرها الله تعالى في قوله: {أن تميد بكم} [لقمان: ١٠]؛ لولا هذه الرواسي لمادت بنا الأرض، فيستفاد من ذلك: أن الأرض تدور؛ لقوله: {أن تميد بكم}؛ لأن نفي الميدان دليل على وجود أصل الحركة؛ إذ لم يقل: أن تتحرك بكم، ونفي الأخص يقتضي وجود الأعم.

- أن الله تعالى بارك في الأرض، ووجه البركة ظاهر، فقد حملت الأحياء والأموات، وحملت من الدواب ما لا يعلم أجناسه - فضلا عن أنواعه، فضلا عن أفراده - إلا الله، عز وجل.

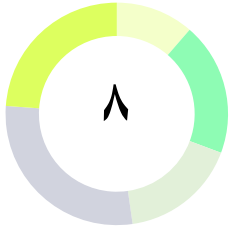

{وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين} [فصلت: ١٠]

- أن اللّٰه تعالى قدر في الأرض أقواتها ، أي جعلها مقدرة بقدر معلوم، ومن ذلك التقدير: أن جعل في جهات من الأرض من الأقوات ما ليس في جهات أخرى، حتى يتبادل الناس هذه الأقوات وتتحرك التجارة ... ، إلى غير ذلك من الفوائد ، ولعله يشير إلى هذا قول اللّٰه تبارك وتعالى: {ولقد صرفناه} يعني: المطر {ليذكروا} [الفرقان: ٥٠].

- أن خلق الأرض تم في أربعة أيام؛ لقوله تعالى: {في أربعة أيام سواء}.

- أن اللّٰه تبارك وتعالى يجيب السائلين أسئلتهم، سواء سألوا بلسان الحال أو بلسان المقال؛ فالإنسان متشوف إلى علم المسألة دون أن ينطق بلسانه، فيقال: إنه سائل بلسان الحال، والإنسان الذي يتكلم باللسان سائل بلسان المقال، والسؤال عن خلق السموات والأرض، فهذا يكون بلسان الحال، ويكون بلسان المقال.

{وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين} [فصلت: ١٠]

- قوله: {من فوقها} انتبه لهذه الكلمة، فلها فائدة عظيمة! إذ الرواسي قد تكون من أسفل، وقد تكون من فوق؛ فقد تكون من أسفل، يعني يكون مثلا يحفر في الأرض قواعد ترسي، وتكون راسية، لكن هنا قال: {من فوقها}؛ وذلك لفوائد:

- الفائدة الأولى: ظهور هذه الرواسي وبيانها للناس؛ حتى يعرفوا بذلك حكمة الله عز وجل وربما لا تكون رواسي إلا إذا كانت من فوق؛ بناء على أن الأرض تدور حتى تحفظ توازنها.

- الفائدة الثانية: هذه الرواسي إذا كانت من فوق حصل فيها من المنافع في درء العواصف وفي الملاجئ شيء كثير، كما هو معروف في المغارات، وكما يعرف من سفوح الجبال وخدود الجبال ورؤوس الجبال، من نوابت لا توجد لولا هذه المرتفعات.

{وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين} [فصلت: ١٠]

- الفائدة الثالثة: أنها توجب أن تندفع مياه الأمطار بشدة حتى تصل إلى أراض صالحة للنبات؛ لأنكم تعرفون أن بعض الأرض سبخات ليس فيها خير وبعضها رياض تنبت، فإذا نزل الماء على هذه الجبال على قممها وعلى خدودها نزل إلى الأرض بشدة عظيمة حتى يصل إلى ما أراد اللّه إيصاله.

- أن في قمم الجبال من المعادن الجيدة أكثر مما في الأرض السفلى؛ ولهذا قال تعالى: {وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد} [الحديد: ٢٥]، أنزلناه من قمم الجبال؛ ولهذا يقول العلماء رحمهم اللّه: "إن الحديد الذي يكون من قمم الجبال أعلى وأقوى من الذي يكون من الأسفل".

{ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت: ١١]

- أن السماء كانت قبل أن تخلق دخانا، ثم حول اللّه هذا الدخان إلى سموات، لقوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان}.
- أن كل شيء قابل لمخاطبة اللّه عز وجل أي: قابل أن اللّه يخاطبه، لأن اللّه خاطب السماء والأرض - وهي جماد - فقال: {ائتيا طوعا أو كرها}، لكننا لو خاطبنا الجماد لعد ذلك سفها ونوعا من الجنون؛ أما الرب عز وجل فإنه يخاطب ما شاء من عباده من عاقل وغيره وجماد وغيره، لأن كل من خاطبه اللّه فإنه يفهم خطاب اللّه.
- أن كل شيء خاضع للّه عز وجل سواء كره أم رضي، لقوله تعالى: {ائتيا طوعا أو كرها}.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} [فصلت: ١١]

- إثبات الطواعية والكراهية لغير العاقل؛ لقوله تعالى: {ائتيا طوعا أو كرها}، فهل هذا يعني أن لغير العاقل إرادة؟
- الجواب: نعم؛ لأن الطائع له إرادة، ومن يتصور إكراهه فله إرادة أيضا، وإرادة كل شيء بحسبه، وقد ورد أن الحصى تسبح بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام ولا تسبيح إلا بعد إرادة، وثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه قال في أحد: "يحبنا ونحبه" والمحبة أخص من الإرادة؛ وعلى هذا: فهذه الجمادات التي نحن لا نفقه تسبيحها لها إرادة، وتسبح الله عز وجل.

- كمال خضوع الأرض والسموات لله عز وجل حيث قالتا: {أتينا طائعين}.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها} [فصلت: ١٢]

- أن مدة خلق السموات أقل من مدة خلق الأرض مع أن السموات أعظم، لكن لما كانت الأرض موضوعة للأنام - كما قال تعالى: {والأرض وضعها للأنام (١٠)} [الرحمن: ١٠]- كان خلقها أكثر مدة؛ لبيان عناية الله تعالى بهذه الأرض التي وضعها للأنام، وليعلم الأنام الذين على الأرض أن العبرة بالإتقان لا بالسرعة.

- أن الله أتم خلق السموات حين أوحى في كل سماء أمرها، ورتبها الترتيب المحكم المتقن.

- "أوحى في كل سماء أمرها"، يعني: قدر بما أوحاه في كل سماء أمرها، فكل سماء لها ملائكة خاصة، وعبادات خاصة، وأجواء خاصة، وكل سماء تختلف عن السماء الأخرى.

{وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم} [فصلت: ١٢]

- أن اللّه تعالى خلق هذه النجوم لثلاث فوائد:
- الفائدة الأولى: زينة السماء.

- والفائدة الثانية: حفظ السموات من الشياطين.

- والفائدة الثالثة: ذكرها اللّه تعالى في سورة النحل في قوله تعالى {وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦)} [النحل: ١٦]؛ ولهذا قال قتادة - وهو من أئمة التابعين رحمهم اللّه: خلق اللّه هذه النجوم لثلاث؛ زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

{وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون} [فصلت: ١٧]

- من لم يتمش على هدى الله فإنه أعمى، يؤخذ من قول الله تعالى: {فاستحبوا العمى}، وإذا كانوا مبصرين بأعينهم فهم عمي البصائر، إذن نأخذ من ذلك فائدة، وهي أن العمى نوعان: عمى بصر وعمى بصيرة، وأشدهما عمى البصيرة، فكم من إنسان أعمى البصر، لكنه مبصر البصيرة، وكم من إنسان مبصر البصر لكنه أعمى البصيرة.

- تعجيل العقوبة لمن آثر العمى على الهدى، يؤخذ من قوله تعالى: {فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون}.

- التحذير من إيثار العمى على الهدى، وأن الإنسان إذا بين له الحق، ولكنه عمي عنه فإنه جدير بأن يعاقبه الله عز وجل لأن الله أخبرنا بأخذهم لنحذر من ذلك.

{ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون} [فصلت: ١٨]

- عدل الله عز وجل يؤخذ من قوله: {ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون} فيها إثبات العدل لله عز وجل والعدل معناه عدم الجور وعدم الظلم، ووجه الدلالة في الآية والتي قبلها إثبات النجاة للمؤمنين والعذاب للمعرضين هذا دليل على العدل؛ لأنه أعطى سبحانه وتعالى كل إنسان ما يستحق، ولا شك أن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، ومن كونه أحكم الحاكمين لازم أن يكون أعدلهم؛ لأنه كلما كان الحكم أعدل كان أحكم.

- أن الإيمان والتقوى سبب للنجاة؛ لقوله: {ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون} ومثله قوله تعالى: {وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم} [الزمر: ٦١].

- أن الإيمان وحده لا يكفي بل لا بد من إيمان وتقوى؛ لقوله: {الذين آمنوا وكانوا يتقون}

{وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن} [فصلت: ٢٥]

- الحذر من الوساوس التي يلقيها الشيطان لفاعل المعصية ويزينها له، ويقول: هذه سهلة، اللّه غفور رحيم، افعل هذا ثم تب وما أشبه ذلك، احذر من هذا، فإن هذا وعد الشيطان، {وما يعدهم الشيطان إلا غرورا} [النساء: ١٢٠].

- كثرة الضالين من هؤلاء القرناء؛ لقوله: {وحق عليهم القول في أمم}

- مهما عالجت الإنسان الذي حقت عليه كلمة اللّه، فلن يهتدي، وحقت عليهم كلمة اللّه في الآخرة وهي: {لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}، إذن لا فائدة.

{وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون} [فصلت: ٢٦]

- قوة تأثير القرآن على سامعه، وهذا هو الواقع؛ لقوله تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} [ق: ٣٧]، لكن القرآن إنما يؤثر على من يفهم اللغة العربية ومعاني الكلمات، وأما الأعجمي حقيقة أو حكما فإنه لا يتأثر بها، ثانيا: إنما يؤثر القرآن وهو كمال التأثير على المؤمن به، أما المكذب المستكبر فلا، حتى إنه يقول: {إن هذا إلا أساطير الأولين} [الأنعام: ٢٥].

- أنه لا يجوز اللغط والضوضاء حين قراءة القرآن، فإما أن تستمع إليه وإما أن تقوم، أما أن تجلس إلى قارئ القرآن وتثير الأصوات واللغط والضوضاء، فهذا أقل ما فيه أنه شبيه بصنيع المشركين.

{فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون} [فصلت: ٢٧]

- إثبات العذاب، ويكون في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، في الجميع قال الله تعالى: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى} [السجدة: ٢١]، وهو عذاب الدنيا: {دون العذاب الأكبر} وهو عذاب الآخرة {لعلهم يرجعون}، وهذا يتعين أن يكون المراد بـ {العذاب الأدنى}، ليس عذاب القبر كما قيل، بل هو عذاب الدنيا؛ لأن عذاب القبر لا يمكن فيه الرجوع، فإذن: {العذاب الأدنى} هو عذاب الدنيا و {العذاب الأكبر} هو عذاب الآخرة، ولهذا جاء في الحديث حديث المتلاعنين أن الرسول قال: "عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة"

- أن الجزاء من جنس العمل، فالجزاء الصالح للعمل الصالح والجزاء السيئ للعمل السيئ، وهذا - سبحان الله - حتى في مجازاة الدنيا، قال الله تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله} [الشورى: ٤٠]، فإذا أساء إليك إنسان بسيئة فلك أن تقابله بمثلها، وإن عفوت وأصلحت فأجرك على الله.

{وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين} [فصلت: ٢٩]

- أن الإنسان ينبغي له أن يبتعد ، بل يجب عليه أن يبتعد عن قرناء السوء؛ لقوله: {اللذين أضلانا من الجن والإنس}، وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من جليس السوء فقال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" أي: على دين صديقه ومحبه فلينظر أحدكم من يخالل، وقال عليه الصلاة والسلام: "مثل الجليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة" فاحذر قرين السوء لا تجتمع به، لا تصادقه، لا تستأمنه على أي شيء.

- تبرؤ التابعين من المتبوعين يوم القيامة، ويشهد على ذلك قوله: {إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب} [البقرة: ١٦٦]، فالمتبوعون في آية البقرة يتبرؤون من التابعين، كما أن التابعين أيضا يتبرؤون من المتبوعين.

- أن الإضلال يكون من الجن والإنس؛ لقوله: {أضلانا من الجن والإنس} فمصاحبة الإنسي للإنسي واضحة، مصاحبة الجني للإنسي أيضا مستفادة من قوله تعالى: {وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم} [فصلت: ٢٥].

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} [فصلت: ٣٠]

- أن مجرد العقيدة لا يغني شيئا حتى يكون معه عمل؛ لقوله تعالى: {إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا}، وما يقوله كثير من الناس: نحن على العقيدة هذا حق ولا شك، ويمدحون عليه لكن لا بد من أن يقال: نحن على العقيدة والعمل الصالح، إذ لا بد من العمل.

- الحث على الاستقامة، والاستقامة على دين اللّه عز وجل أن يثبت عليه، ويستقيم عليه ولا يتغير.

- تحقيق البشرى بما يؤيدها، يعني: لا يكفي أن تقول: يا فلان أبشر بالخير حتى تبين ما يؤيد هذه البشرى، يؤخذ من هذه الآية وهي قوله: {التي كنتم توعدون} وذلك لعلمهم بأن وعد اللّه لا يخلف.

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} [فصلت: ٣٠]

- أن اللّه تعالى سخر الملائكة لبني آدم في مواطن كثيرة كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم} [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، وكما سخرهم اللّه تعالى يجلسون على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون الأول فالأول، إلى غير ذلك من المواطن التي جاءت في الكتاب والسنة.

- أن الملائكة التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين المستقيمين تبشرهم بثلاثة أمور: أولا: أنه لا خوف عليهم، والثاني: أنهم لا يحزنون، والثالث: أن الجنة مأواهم

- أن الملائكة أولياء لمن آمن واستقام في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

{ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم} [فصلت: ٣١-٣٢]

- للذين آمنوا بالله واستقاموا في الجنة ما تشتهيه الأنفس، وفي آية أخرى: {ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين} [الزخرف: ٧١] فيكون لأهل الجنة فيها متعتان؛ المتعة الأولى بالذوق والطعم، والمتعة الثانية بالرؤية والنظر.
- أن في الجنة كل شيء يطلب؛ لقوله: {ولكم فيها ما تدعون}
- أنهم يؤتون هذا الرزق في الجنة على أنه إكرام وكرامة؛ لقوله: {نزلا}، وأصل النزل ما يقدم للضيف من الكرامة.
- أنهم إنما وصلوا إلى ذلك بمغفرة الله ورحمته؛ لقوله: {نزلا من غفور رحيم}، ولولا ذلك ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه.

{ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين} [فصلت: ٣٣]

- تفاضل الأعمال؛ لقوله: {ومن أحسن قولا}، وأحسن اسم تفضيل، ولا شك أن الأعمال تتفاضل بثلاث اعتبارات: باعتبار الجنس، وباعتبار النوع، وباعتبار الهيئة والكيفية.
- فضيلة الدعوة إلى الله عز وجل في قوله: {ممن دعا إلى الله}.
- الإشارة إلى الإخلاص في الدعوة نأخذها من قوله: {إلى الله}
- فضيلة العمل الصالح الذي جمع بين أمرين: الإخلاص والمتابعة؛ لقوله: {وعمل صالحا}

{ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين} [فصلت: ٣٣]

- وجوب العلم، نأخذه من قوله: {وعمل صالحا}؛ لأنه لا يمكن أن تعرف أن العمل موافق للشرع أو غير موافق إلا بالعلم، فيكون في الآية دليل على وجوب العلم؛ لأنه إذا كان العمل الصالح من الواجبات فلا بد أن تعلمه بالشرع، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

- أنه ينبغي للمسلم أن يكون عزيزا بدينه وأن يعلن به وأن يقول: {إنني من المسلمين} وألا يستحي إذا قيل له أنه مسلم

- الإشارة إلى تجنب التزكية الذاتية؛ لأنه قال: {من المسلمين}، ولم يقل: وقال إنني مسلم؛ لأن الإنسان قد يعتز بقوله: إنني مسلم ويفخر أكثر مما يكون ذلك فيما لو قال: {إنني من المسلمين}.
- الإشارة إلى المؤاخاة بين المسلمين؛ لقوله: {من المسلمين} إشارة إلى أنني كواحد من هؤلاء، لا افتراق عنهم.

{ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصلت: ٣٤]

- انتفاء تساوي الحسنات بعضها ببعض، وانتفاء تساوي السيئات بعضها ببعض، فيترتب على ذلك فائدة: أن الحسنات تتفاوت والسيئات تتفاوت، فمن الحسنات ما هو أصول في الإسلام كالأصول الخمسة، ومنها ما هو دون ذلك، ومنه ما هو فرائض ومنه ما هو نوافل، كذلك في المحرمات ما هو شرك مخرج عن الملة وما هو شرك دون ذلك، وكذلك يقال في الكفر، منه ما هو فسوق ومنه ما هو دون ذلك، هذا إذا قلنا: إن المراد أن الحسنات لا تتساوى والسيئات لا تتساوى.

- الحث على المقامات في مدافعة السيئات تؤخذ من قوله: {أحسن} ولم يقل ادفع بالحسن، بل قال: {بالتي هي أحسن}.

- أن اللّٰه تعالى مقلب القلوب، فقد يكون العدو صديقا والصديق عدوا؛ لقوله: {فإذا الذي بينك وبينه عداوة}

{ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصلت: ٣٤]

- مدافعة السيئة تكون من ثلاثة وجوه:
- الوجه الأول: أن يدفع سيئة بمثلها وهذا جائز، يقول تعالى: {وجزاء سيئة سيئة مثلها} [الشورى: ٤٠].
- والثانية: أن يدفع السيئة بحسنة - لكن هناك شيئا أحسن منها - وهذا أيضا جائز وهو أعلى من الأول.
- الثالث: أن يدفع السيئة {بالتي هي أحسن} يعني: بأحسن ما يدفعها به، وهذا أفضل وأطيب، وهو الذي أمر الله به. يعني: إذا أساء إليك إنسان فلا تقابله بإساءة ولا تقابله بحسنة أيضا، بل قابله بما هو أحسن.

{ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون} [فصلت: ٣٧]

- أن للّه تعالى آيات محسوسة تعين على الآيات المعقولة، وهذا من رحمة اللّه عز وجل أن اللّه أرى عباده الآيات المحسوسة ليستعينوا بها على الآيات المعقولة.

- فالآيات المعقولة كل يعلم أن كل حادث لا بد له من محدث هذه آية عقلية لا ينكرها أحد؛ ولهذا قال تعالى: {أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون} [الطور: ٣٥] الجواب: لا هذا ولا هذا. هم لم يخلقوا من غير شيء بل لا بد لهم من خالق ولا خلقوا أنفسهم، إذن لهم خالق وهو اللّه عز وجل؛ ولهذا لما سمع جبير بن مطعم - رضي اللّه عنه - هذه الآية وكان من أسرى بدر، وسمع النبي - صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم - يقرأ بالطور يقول: كاد قلبي يطير، يعني: عرفت أني على خطأ وأن المشركين كلهم يخطئون.

{ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون} [فصلت: ٣٧]

- من بلاغة القرآن أنه إذا ذكر الحكم ذكر الدليل العقلي عليه؛ لقوله: {واسجدوا للّه الذي خلقهن} اسجدوا للّه، هذا واضح أمر شرعي لكن: {الذي خلقهن} دليل كوني قدري على أن المستحق للسجود الذي خلق هذه الأشياء، كيف تسجدون للشمس والقمر ولا تسجدون للّه الذي خلقهن

- لا يمكن لإنسان يدعي أنه يعبد اللّه حقا أن يسجد لغير اللّه؛ لقوله: {إن كنتم إياه تعبدون}.

- التحدي لمن أشرك باللّه - بأي نوع من الشرك - أن يكون عابدا حقا للّه، فالمرائي مثلا نقول: إنك لم تعبد اللّه حقا لم تفرده بالعبادة لأنك أردت بعبادتك التقرب إلى المخلوقين؛ ولهذا قال: {إن كنتم إياه تعبدون}.

{ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير} [فصلت: ٣٩]

- الاستدلال بالمحسوس المنظور على الموعود المنتظر، وجهه أن اللّه استدل بالشيء المنظور المحسوس وهو نبات الأرض بعد أن كانت هامدة على شيء منتظر وهو إحياء الموتى بعد موتهم، وفيه أيضا الاستدلال بالأدلة العقلية أن الإنسان يستدل بالمحسوس على المعقول يعني: أن قدرة اللّه على هذا تدل على قدرته على الآخر.

- استعمال القياس وأن القياس ثابت؛ لأن اللّه تعالى قاس إحياء الموتى على إحياء الأرض.

- الاستدلال بالعموم على الخصوص، فاللّه تعالى استدل على قدرته على إحياء الموتى بدليلين أحدهما خاص والثاني عام، الخاص يحيي الأرض بعد موتها، والعام: {إنه على كل شيء قدير}.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة} [فصلت: ٤٠]

- تحريم الإلحاد في آيات الله، وجه ذلك أن الله تعالى هدد الملحدين في آيات الله.
- إثبات الآيات والتقسيم من عندنا مبني على التتبع والاستقراء، يعني: إثبات أن الله تعالى له آيات كونية وشرعية، والآيات ليس فيها ذلك لكن بالتتبع والاستقراء علمنا أن آيات الله تنقسم إلى قسمين شرعية وكونية.
- تهديد الملحدين بأن الله مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.
- سعة علم الله تبارك وتعالى وأنه لا يخفى عليه شيء.

{إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة} [فصلت: ٤٠]

- جواز المفاضلة بين شيئين بينهما من التباين أكثر مما بين السماء والأرض إفحاما للخصم.

- والدليل: {أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة} كل يعلم أن الثاني خير وأنه لا حاجة للاستفهام لكن من أجل إفحام الخصم وإقامة الحجة عليه، ونظير ذلك قوله تعالى: {آللّه خير أما يشركون} [النمل: ٥٩] كل يعرف أن اللّه خير لكن هذا من باب إفحام الخصم، ومنه قوله تعالى: {قل أأنتم أعلم أم اللّه} [البقرة: ١٤٠] كل يعلم أن الأعلم هو اللّه لكن هذا أيضا من باب إفحام الخصم، وهذه فائدة ينتبه لها: أن المفاضلة بين شيئين التفاوت بينهما ظاهر لا يراد به المقارنة، ولكن يراد به إفحام الخصم.

{إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز} [فصلت: ٤١]

- هذا القرآن عزيز غال، لا أحد يناله بسوء إلا فضحه الله، ولا أحد يقوم أمامه إلا كان مهزوما مغلوبا، ووصف الله تعالى القرآن بأنه عزيز، وبأنه مجيد وبأنه كريم وبأوصاف متعددة، مما يدل على عظمة هذا القرآن.

- أن من تمسك بالقرآن فله العزة، وجهه أنه إذا كان القرآن عزيزا، فلا بد أن ينال العزة من تمسك به، وإلا لكان القران غير عزيز، ويدل لهذا قول الله تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} [المنافقون: ٨].

{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} [فصلت: ٤٤]

- أن الحجة لا تقوم حتى يفهم الإنسان معنى هذه الحجة، وأن مجرد البلاغ لا يعد حجة قائمة حتى يفهمها من بلغته؛ لأنك لو ألقيت كلاما عربيا بأفصح ما يكون على قوم عجم، وهم لا يعرفون مقصودك أصلا فلا يفهمون شيئا، وكذلك بالعكس لو جاء رجل أعجمي وقام يتكلم بأفصح ما يكون من لغة العجم ونحن لا نعرف مراده لم نفهم منه شيئا؛ ولهذا قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} [إبراهيم: ٤].

- أن القرآن يكون لأقوام رحمة ولآخرين نقمة، ويشهد لهذا قوله - عليه الصلاة والسلام -: "القرآن حجة لك أو عليك" رحمة للمؤمنين ونقمة على الكافرين، قال الله تعالى: {وإنه لحسرة على الكافرين} [الحاقة: ٥٠].

{ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد} [فصلت: ٤٤]

- أنه لا يمكن أن يبتغى الهدى من غير القرآن لقوله: {قل هو للذين آمنوا هدى} [فصلت: ٤٤]، فمن ابتغى الهدى من غير القرآن أضله الله، قال الله تعالى: {فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى} [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

- أن القرآن شفاء من أمراض القلوب وأسقام الأبدان لقوله: {هدى وشفاء} [فصلت: ٤٤].

- أن الإنسان كلما كان أقوى إيمانا كان أهدى وأشفى من قوله تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء} [فصلت: ٤٤]، وهنا قاعدة مفيدة مهمة: أن كل حكم معلق بوصف أو مرتب على وصف، فإنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف بضعف ذلك الوصف.

فوائد مستنبطة من تفسير سورة فصلت

{ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب} [فصلت: ٤٥]

- أن الخلاف لم يكن بدعا في الأمم، وقد سبق هذه الأمة من اختلفوا في كتبهم ورسلهم لقوله: {فاختلف فيه}.
- تسلية المصاب بذكر المشارك له؛ لأن الغرض من الإخبار بأن اللّه آتى موسى الكتاب {فاختلف فيه}، تسلية النبي - عليه الصلاة والسلام -
- حكمة اللّه - عز وجل - بتأخير العذاب عن من كذبوا الرسل؛ لأن اللّه تعالى جعل لك شيئا قدرا ، فمن حكمته تأخير العذاب عن الأمم لعلهم يرجعون.
- تمام سلطان اللّه - عز وجل - وأنه - جل وعلا - هو المدبر للأمور أخذا ورفعا لقوله: {ولولا كلمة سبقت من ربك}

{ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب} [فصلت: ٤٥]

- أن اللّه تعالى يكني عن الشر ببناء الفعل لما لم يسم فاعله لقوله: {لقضي بينهم} ولم يقل: لقضى بينهم، وهذا هو المطرد في القرآن والغالب، وانظر إلى أدب الجن حيث قالوا: {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا} [الجن: ١٠] أدب عال، فقالوا في الشر: {أريد بمن في الأرض} ولم يضيفوه إلى اللّه، وفي الرشد قالوا: {أم أراد بهم ربهم رشدا} ولم يقولوا: أم أريد بهم رشدا.

- وهذا من أدب الجن، والجن أحيانا يكونون آدب من الإنس: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا} [الأحقاف: ٢٩]، أوصى بعضهم بعضا أن ينصتوا حتى يستمعوا استماعا تاما، {فلما قضي} أيضا لم يتوقفوا أو يكسلوا، {ولوا إلى قومهم منذرين (٢٩)} [الأحقاف: ٢٩] بادروا إلى قومهم منذرين: {قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا. . .}

{لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط} [فصلت: ٤٩]

- ذم أهل اليأس والقنوط من رحمة اللّه عز وجل؛ لأن اللّه ساق هذا مساق الذم.
- أنه لا ينبغي للإنسان أن يغلب جانب اليأس والقنوط، كما أنه لا يغلب جانب الرحمة؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء والرحمة فإنه يدخل فيمن لا يأمن مكر اللّه، وإن غلب جانب اليأس والقنوط دخل في أهل اليأس والقنوط.
- أن الإنسان ينظر إلي حاله، فإن كان قد عمل عملا صالحا وكدح فيما يرضي اللّه فليغلب جانب الرجاء، فكلما عمل طاعة غلب جانب الرجاء أن اللّه سبحانه وتعالى تجاوز عنها، وأن اللّه تعالي قبلها وسيثيبه، وإذا رأى من نفسه العلو والتعاظم فليغلب جانب الخوف

{ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة} [فصلت: ٥٠]

- أن اللّٰه تعالى يرحم الكافر لقوله: {ولئن أذقناه رحمة}
- اعلم أن رحمة اللّٰه تبارك وتعالى نوعان: رحمة خاصة، ورحمة عامة.
- فما به قوام البدن من الرحمة العامة؛ لأنه يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنسان والحيوان، هذه رحمة عامة، وما به قوام الدين من الرحمة الخاصة، وهذا يختص بالمؤمنين.
- والفرق بينهما: أن الرحمة العامة إنما هي غذاء البدن فقط وتزول بزواله،

- والرحمة الخاصة غذاء الروح تبقي ببقاء الروح في الدنيا والآخرة، والروح منذ خلقها اللّٰه لا تفني كالولدان في الجنة والحور العين في الجنة، خلقت للبقاء، بخلاف الأجساد، قال اللّٰه تعالى: {كل من عليها فان (٢٦)} [الرحمن: ٢٦].

{وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض} [فصلت: ٥١]

- أن الإنسان من حيث هو إنسان بطر عند النعماء لكنه مقبل عند الضراء لقوله: {وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه}.
- أن ما يتمتع به الإنسان من النعيم، فإنما هو من عند اللّه لقوله: {وإذا أنعمنا على الإنسان}.
- التحذير من هذه الحال، فإذا رأي الإنسان من نفسه أنه عند النعمة يفرح ويبطر ويتهاون بما أوجب اللّه عليه، فليعلم أنه داخل في هذا الإنسان المذموم.
- أن الإنسان يعرف من نفسه الضعف إذا أصابه الضرر ويلجأ إلي اللّه حتى الكافر يعرف من نفسه الضعف، ويلجأ إلي اللّه عز وجل.

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(فصلت)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1